

## مستويات الرشد في ضوء سورة الكهف: دراسة تحليلية دلالية<sup>(\*)</sup>

سمية سليم الكردي<sup>1</sup>، عبد الحكيم محمد الأنيس<sup>2</sup>

*(The stages of Rushd in Surat al-Kahf: A Semantic and Analytical Study)*

Someya Salim Kordi, Abdulhakeem Alanees

### ABSTRACT

This study aims to reveal the lexical, contextual, and rhetorical connotations encompassed by the term Rushd in the light of Surah Al-Kahf, which collectively forms an integrated Qur'anic pedagogical methodology. To achieve this aim, the study adopts an inductive approach by tracing the three occurrences of the term in Surah Al-Kahf. It then applies a descriptive-analytical method to interpret the term based on established sources of tafsir, such as Al-Tabari, Ibn Kathir, Al-Qurtubi, Ibn Ashour, and others. The results indicate that the term al-Rushd, with its various derivations, embodies a unique educational methodology comprising three stages that contribute to the spiritual and moral development of the Muslim individual: the stage of success, representing the divine providence bestowed upon righteous servants at the beginning of the path, coupled with the presence of the guide as the mentor on the path of truth; the stage of guidance, reflecting steadfastness on the straight path and continuity in righteousness until the goal is achieved; and the stage of insight, corresponding to the accurate understanding of reality and acting accordingly. The study highlights the Qur'an's concern with nurturing human beings emotionally, intellectually, and spiritually within a progressively integrated educational methodology. It demonstrates the deep interdependence between linguistic significance, Qur'anic context, and the educational dimension, concluding that Surah Al-Kahf provides a stepwise applied model of rationality that reflects a distinctive.

**Keywords:** *Stages, Al-Rushd, Surah Al-Kahf, Semantic, Analytical Study.*

(\*) This article was submitted on: 24/02/2026 and accepted for publication on: 24/04/2026.

<sup>1</sup> Assistant Professor at Al-Madinah International University, Malaysia.  
Email: [Dr.sumaya2025@gmail.com](mailto:Dr.sumaya2025@gmail.com)

<sup>2</sup> Scientific Expert at the Holy Quran Academy in Sharjah, UAE.  
Email: [Drlanees@gmail.com](mailto:Drlanees@gmail.com)

## ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عما اشتمل عليه لفظ الرشد في ضوء سورة الكهف من دلالات معجمية، وسياقية، وأبعاد بلاغية، شكّلت في مجموعها منهجاً قرآنياً تربوياً متكاملًا، ولتحقيق هذا الهدف فقد استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي من خلال تتبع مواضعه في سورة الكهف، واعتمد لتفسيرها على المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك بالاستناد إلى المصادر المعتمدة من كتب التفسير كتفسير الطبري، وابن كثير، والقرطبي، وابن عاشور، وغيرهم، و قد خلصت النتائج إلى اشتمال لفظ الرشد باشتقاقاته المختلفة على منهج تربوي فريد ذي مستويات ثلاثة تُسهّم في تربية الفرد المسلم تربية إيمانية، وهي: مستوى التوفيق، وهو العناية الإلهية التي يمدّ الله بها عباده الصالحين في بدايات الطريق، مقرونة بوجود المرشد بوصفه الدليل الهادي إلى سبيل الحق، ثمّ مستوى الهداية، ويتمثل في الثبات على الصراط المستقيم واستمرار الاستقامة حتى بلوغ الغاية، ثمّ مستوى البصيرة، وهي مرحلة إدراك الحقائق على وجهها الصحيح والعمل بمقتضاها. وتُبرز الدراسة عناية القرآن الكريم ببناء الإنسان وجدانيًا وعقديًا ضمن منهجية تربوية متنامية متكاملة، كما تكشف عن عمق الترابط بين الدلالة اللغوية، والسياق القرآني، والبعد التربوي، وتخلص إلى أن سورة الكهف تقدم نموذجًا تطبيقيًا متدرجًا لمفهوم الرشد يعكس تكاملًا منهجيًا فريدًا في البناء القرآني.

**كلمات دالة:** مستويات، الرشد، سورة الكهف، دلالية، تحليلية.

## 1. المقدمة

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، و المرجع الأعلى في بناء الإنسان وهدايته، وقد اشتمل على منظومة مفاهيمية متكاملة تُربي الإنسان، وتأخذ بيده في سلم الكمال البشري، ومن بين هذه المفاهيم الجامعة مفهوم الرشد، وقد ورد هذا المفهوم في غير موضع من القرآن الكريم، إلا أنّ حضوره في سورة الكهف اتسم بخصوصية دلالية وسياقية لافتة؛ حيث ورد هذا اللفظ في السورة أربع مرات، في ثلاثة مواضع حمل في كل مرة دلالات جديدة ذات أبعاد متباينة؛ شكّلت في مجموعها منهجاً تربوياً متكاملًا يهدف إلى الارتقاء بالمؤمن، وتربيته تربية روحية فريدة.

تبلور إشكالية هذه الدراسة في ورود مفهوم الرشد في سورة الكهف في أكثر من موضع تبدو للناظر لأول وهلة أنها تحمل الدلالات ذاتها، وقد عاجلت الدراسة هذه الإشكالية من خلال:

• تتبّع مواضع لفظ الرشد واشتقاقاته في سورة الكهف، والكشف عن خصائصه الأسلوبية والدلالية.

• تحليل الأبعاد المعجمية، واللغوية، والسياقية، واشتقاقاتها الواردة في السورة.

• استجلاء الدلالات التربوية، والأخلاقية التي يعكسها مفهوم الرشد في السورة.

ومن ثم فقد كشفت هذه الدراسة عن إسهام هذا المفهوم في رسم منهج قرآني متدرج لبناء شخصية المسلم تشمل جانب العقل والروح، والسلوك.

تنطلق هذه الدراسة من سؤال مركزي ألا وهو: كيف يرسم القرآن الكريم باستخدام لفظ واحد، في سورة واحدة منهجاً تربوياً متكاملًا، قوامه الرشد بمستوياته المتعددة، في سبيل تكوين الإنسان عقدياً وروحياً وأخلاقياً؟

أجابت هذه الدراسة عن هذا السؤال من خلال دراسة محكمة بينت أن الرشد الوارد في السورة يتجدد معناه من موضع إلى آخر، بل توصلت إلى أن مفهوم الرشد في

السورة يرسم منهاجا تربويا تكامليا يرقى بالإنسان إلى منازل عالية من التوفيق، والهداية، والبصيرة تأخذ بيد المؤمن إلى مدارج الكمال البشري.

تبرز في كونها تدرس مفهوما قرآنيا أصيلا في ضوء سورة واحدة من سور القرآن الكريم، مبرزة بلاغة القرآن، وعنايته بتربية الفرد المسلم تربية وجدانية ضمن مسار تربوي متدرج متكامل، هذا المفهوم هو الرشد في سورة الكهف، في محاولة لتقديم قراءة دقيقة متخصصة بعيدة عن التعميمات الواسعة، تسهم في إثراء الدراسات القرآنية المعاصرة التي تسعى لربط المفاهيم القرآنية بالأبعاد الأخلاقية والتربوية، في إطار منهج تكاملي لبناء شخصية الإنسان المسلم، وقد بحثت في مصادر المعلومات كالشبكة العنكبوتية، والمكتبة الشاملة، ودار المنظومة، وأرشيف مكتبة الشارقة العامة وغيرها، ولم أقف -في حدود علمي- على دراسة تُعنى بدراسة هذا المفهوم في ضوء سورة الكهف وحدها، مما استدعى دراستها دراسة متعمقة تكشف عن خصوصية المبني، والمعنى، وتبرز ما تحمله من مقاصد تربوية.

## 2. الدراسات السابقة

لقد حظيت سورة الكهف -من الدراسات قديماً وحديثاً- باهتمام كبير سواء من المنظور اللغوي، أو البلاغي، أو التحليلي، أو الموضوعي؛ ويرجع ذلك إلى ما للسورة من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين عوامهم، وخواصهم، ولما ورد في فضلها أحاديث كثيرة، ولما اشتملت عليه من قصص ذات مضامين عقائدية، وتربوية، وأخلاقية وقد اطلعت على عدد من هذه الدراسات فوجدتها تعالج بلاغيات السورة، وجماليات الأسلوب، ولم أقف على من اهتم بدراسة (مفهوم الرشد) فيها بالتتبع والاستقصاء والتحليل، ومن هذه الدراسات:

- (ألوان البديع في سورة الكهف دراسة بلاغية تحليلية) لسلمان سالم سالم الحسوني، وقد ركزت على المحسنات البديعية كالطباق، والجناس، والسجع، والمبالغة.

- (الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم) سورة الكهف نموذجًا للباحث محمد بو حية وقد تناول الأسلوب الجمالي في السورة.
- (الصياغة الإنشائية في سورة الكهف دراسة تحليلية بلاغية) للباحث أندي أساسي شام وقد استهدف جماليات الأسلوب الإنشائي في السورة.
- (جوانب من التشكيل القصصي في سورة الكهف دراسة أسلوبية) للباحث فائز الذنبيات.

ورغم القيمة العلمية لهذه الدراسات، إلا أنها اتسمت بالتركيز على الجانب البلاغي، أو القصصي، أو الأسلوبي العام دون التوقف عند مفهوم الرشد وحده بالتببع أو التحليل أو الاستنباط، بينما تفرّدت هذه الدراسة بأمرين اثنين:  
الأول: الأصالة؛ وذلك من خلال تتبع، ودراسة، وتحليل مفهوم الرشد دلاليًا سياقيًا.  
الثاني: السبق، ويتمثل في الكشف عن خصوصية هذا المفهوم في السورة، وإماطة اللثام عن اشتماله على منهج قرآني تربوي فريد ذي مستويات ثلاثة.

### 3. المناقشة والتحليل

#### 1.3 تسمية السورة، مكيتها، سبب نزولها وأغراضها

تسميتها: سمّاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة الكهف، عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف- وفي رواية لمسلم- من آخر الكهف، عصم من فتنة الدجال". (Ahmed bin Hanbal, 2001).

مكيتها: سورة الكهف مكية بالاتفاق، (Ibn Atiyyah, 2002)، وهي "الثامنة والستون في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، وهي من السور التي نزلت جملة واحدة".

عدّ آيها: عدت آيها في عدد قراء المدينة ومكة مائة وخمسا، وفي عدد قراء الشام مئة وستا، وفي عدد قراء البصرة مئة وإحدى عشرة، وفي عدد قراء الكوفة مائة وعشرا، بناء

على اختلافهم في تقسيم بعض الآيات إلى آيتين (Ibn Ashur, 1984)

سبب نزولها: ما ذكره كثير من المفسرين أن المشركين لما أهمهم أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وازدياد المسلمين معه، وكثر تساؤل الوافدين إلى مكة من قبائل العرب عن أمر دعوته، بعثوا النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة يسألونهم رأيهم في دعوته، وهم يطمعون أن يجد لهم الأحبار ما لم يهتدوا إليه مما يوجهون به تكذيبهم إياه، قالوا: فإن اليهود أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء ( أي صفاتهم وعلاماتهم) علم ليس عندنا، فقدم النضر وعقبة إلى المدينة، ووصفا لليهود دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبراهم ببعض قوله، فقال لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث؛ فإن أخبركم بهن فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقول، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح ما هي؟ فرجع النضر وعقبة؛ فأخبرا قريشا بما قاله أحبار اليهود، فجاء جمع من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه عن هذه الثلاثة؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أخبركم بما سألتكم عنه غدا (وهو ينتظر وقت نزول الوحي عليه بحسب عادة يعلمها) و لم يقل: إن شاء الله؛ فمكث رسول الله ثلاثة أيام لا يوحى إليه، -وقال ابن إسحاق: خمسة عشر يوما-، فأرجف أهل مكة و قالوا: وعدنا محمد غدا و قد أصبحنا اليوم عدة أيام لا يجبرنا بشيء مما سألناه عنه، حتى أحزن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و شق عليه، ثم جاءه جبريل - عليه السلام بسورة الكهف وفيها جوابهم عن الفتية وهم أهل الكهف، وعن الرجل الطواف وهو ذو القرنين، وأنزل عليه فيما سأله من أمر الروح (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء: ٨٥]. " (Muslim,2006)

أغراض السورة: " افتتحت بالتحميد على إنزال الكتاب للتنويه بالقرآن تطاولا من الله تعالى على المشركين وملقنيهم من أهل الكتاب، و أدمج فيه إنذار المعاندين الذين نسبوا لله ولدا، وبشارة للمؤمنين، وتسلية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و ذكر افتتان

المشركين بالحياة الدنيا و زينتها؛ وأنها لا تكسب النفوس تزكية، وانتقل إلى خبر أصحاب الكهف المسئول عنه، وقدم لقصة ذي القرنين قصة أهم منها وهي قصة موسى والخضر - عليهما السلام، لأن كلتا القصتين تشابهتا في السفر لغرض شريف؛ فذو القرنين خرج لبسط سلطانه على الأرض، وموسى - عليه السلام خرج في طلب العلم؛ و ما ختمت به من إبطال الشرك ووعيد أهله ووعد المؤمنين بضدهم، والتمثيل لسعة علم الله تعالى، وختمت بتقرير أن القرآن وحي من الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فكان في هذا الختام محسن رد العجز على الصدر" (Ibn Ashur, 1984).

### 2.3 تعريف الرشد لغة واصطلاحاً

الرشد لغة: "الراء، والشين، والدال أصل واحد يدل على استقامة الطريق؛ فالمرشد: مقاصد الطرق. (Ibn Faris, 1979)

قال أسامة بن حبيب الهذلي:

تَوَقَّ أبا سَهْمٍ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ  
مِنْ اللَّهِ وَاقٍ، لَمْ تُصِبْهُ المَرَاشِدُ

البيت من الطويل، وهو لتأبط شراً في كتاب الجيم وليس في ديوانه ( Yaaqoub1996  
(Emeel Badee

وقد فرّق أهل اللغة بين (الرُّشد) بالضم و(الرَّشد) بالفتح، فقيل: "بالضم الصلاح، وبالفتح الدّين. وقيل: المضموم يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والمفتوح في الأخروية فقط؛ فبينهما عموم وخصوص، ويُقال: رَشِدَ الإنسان يَرشُدُ رُشداً، ورشاداً، وهُوَ نقيض العيِّ، ورشِد، يَرشُدُ، رَشداً، وهُوَ نقيض الضَّلال، إذا أصاب وَجْهَ الأمر وَالطَّرِيقَ فقد رَشِد.

وفي عمدة الحفاظ قوله تعالى: ( وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشِداً) [الكهف: 10]

الرشد ضد الغي؛ فالرشد: الهداية، والغى: الضلال.

وفي أسماءِ اللهِ تَعَالَى: (الرَّشِيدُ) وَهُوَ الَّذِي أَرْشَدَ الْخَلْقَ إِلَى مَصَالِحِهِمْ أَيْ: هَدَاهُمْ وَدَهَمَ عَلَيْهَا (Muhammad ibn Ahmad al-Azhari, 2001; Isma'il ibn 'Abbad, ) 1994; Ahmad ibn Yusuf al-Samin al-Halabi, 1996; Majd al-Din Ibn al- (Athir, 1979).

إذن تدور معانيه في اللغة حول: الصلاح، وإصابة الصواب، والاستقامة على طريق الحق، والهداية، والسداد، والدلالة إلى الخير، وهو نقيض الغي والضلال. الرشد اصطلاحاً: "أصاب وجه الأمر والطريق، وانسقت تدبيراته إلى غاياتها على سبيل السداد، ويكون ذلك في نقيض الغي والضلال والسفه." (Hassan 'Izz al-Din, ) 2008) وما ذكره المناوي في شرح الحديث، وأسألك عزيمة الرشد، وفي رواية العزيمة على الرشد: وقيل هو حسن التصرف في الأمر، والإقامة عليه بحسب ما يثبت ويدوم. وبالنظر إلى مجموع الدلالات المعجمية، وتعليقات العلماء عليها يمكن تعريف الرشد بأنه: "حُسن التصرف، وإصابة الخير، وسلوك طريق الاستقامة، مع التمسك به، والديمومة والثبات عليه.

### 3.3 ألفاظ الرشد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

أولاً: القرآن الكريم: وردت لفظة الرشد في القرآن الكريم 19 مرة، بصيغ مختلفة حيث وردت بصيغة المضارع، والمصدر، والصفة، وفي عدة مواضع أذكرها على سبيل الحصر: -لفظ الرشد بالفتح أو الضم: قال تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة:256] ، وقال تعالى: (وَابْتُلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) [النساء:6] وقال تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ

سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ [الأعراف: 146]، وقال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) [الأنبياء: 51]، وقال تعالى: ( قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا) [الكهف: 66] وقال تعالى: (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) [ 2: الجن] بلفظ رَشدا: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) [الكهف: 10]، وقال تعالى: (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأُذَكِّرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) [الكهف: 24] و قال تعالى: (وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)، [الجن: 10] ، وقوله: (وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) [الجن: 14 :]، و قال تعالى: (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا) [الجن: 21].

-لفظ يَرَشُدُونَ: قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: 186]

-لفظ الرِّشَاد: قال تعالى: ( يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) [غافر: 29]، وقال تعالى: (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ): [غافر: 38]

-لفظ الراشدون: قال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) [الحجرات: 7]

-لفظ رَشِيدٍ: قال تعالى: (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) [ هود: 78]، وقال تعالى: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ

أَبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) [هود: 87] وقال تعالى: (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) [هود: 97] - لفظ مُرْشِدًا: قال تعالى: (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا عَزَبَتْ تُفْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) [الكهف: 17].

ثانيا: السنة النبوية: جاء لفظ الرشد في السنة النبوية المطهرة في عدة مواضع منها على سبيل المثال: كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم طلب الرشد: "فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم أهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي". (Al-Bukhari, 1978).

- الرشد في السياق القرآني: ورد لفظ "الرشد" في مواضع متعددة من القرآن، مرة مقروناً بالهداية كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، وتارة بمعنى البلوغ أي: "انتظام تصرف العقل، وصدور الأفعال عن ذلك بانتظام، وأريد به هنا حفظ المال وحسن التدبير فيه" (Ibn Ashur, 1984) كما في قوله: (وَابْتَئُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) [النساء: 6]، ومرة أخرى مقروناً بالتوفيق الإلهي كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10]، وأخرى بالعلم والبصيرة كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: 66]. إنَّ هذا التنوع الدلالي لا يعكس إلا ثراء المفهوم القرآني للرشد باعتباره درجة أعلى من مجرد الهداية، أو الاستقامة، أو السداد.

- الرشد في سورة الكهف: تبين مما سبق أن معنى الرشد في القرآن يدور حول معان عدة وهي: الصلاح، والسداد، والهداية، وإصابة الصواب، والاستقامة على طريق الحق، والدلالة إلى الخير، وهو نقيض الغي والضلال، أما في سورة الكهف فقد ورد في ثلاثة

مواضع وفي سياقات متنوعة، وباشتقاقات مختلفة، أولها في قصة الفتية أصحاب الكهف، وثانيها: في قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش، وثالثها: في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح.

وبالنظر إلى الدلالة المعجمية، والسياقية للفظ الرشد في سورة الكهف نلاحظ أن السورة لا تعرض المفهوم بوصفه معنى واحدا ثابتا دائما محدود الدلالة؛ بل تكشف عنه كمفهوم في بناء متدرج يتنامى عبر سياقات مختلفة، حتى يغدو الرشد إطارًا جامعًا لمسار تربوي متكامل.

وإذا كان الرشد في أصله إصابة وجه الصواب مع الاستقامة عليه، فإن سياق السورة يُظهر انتقاله من مستوى الحفظ العقدي، إلى مستوى التقويم العملي، ثم إلى مستوى الإدراك البصيري، بما يؤسس لبنية تربوية متدرجة تراعي جانب العقل، والسلوك، والروح.

المستوى الأول: مستوى رشد التوفيق، وقد تجلّى في قصة الفتية أصحاب الكهف في موضع واحد مرتين:

- المرة الأولى: في معرض قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10]

- المرة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: 17].

سبب نزول الآية: جاء هذا الدعاء على لسان الفتية أصحاب الكهف حين اتخذوا من الكهف مأوىً ومسكنًا لهم فرارا من ملك ظالم يأمر الناس بعبادة الأوثان، فتضرعوا إلى الله أن يؤتيتهم من لدنه رحمة، وأن يهييء لهم من أمرهم رشدا، ويبرز هنا سؤال: هل المراد بـ«الرشد» هنا مجرد الهداية، أو إصابة الصواب؟ أم مرتبة أخصّ تتعلق بالتوفيق الإلهي المصاحب للثبات؟

عرض أقوال المفسرين: "رَشَدًا أي: "سدادا إلى العمل بالذي تحب" (Al-Tabari, 2001)، وقيل: "أي: ما يلتمس من رضاك، وما فيه رشدنا (Al-Baghawi, 1997) وقيل: "أرشدنا إلى ما يقربنا منك، والمعنى: هَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا مَا نَصِيبُ بِهِ الرَّشْدَ، وَالرَّشَادَ نَقِيضَ الضَّلَالَةِ. (Ibn al-Jawzi, 2002) وقيل: "أي: من عندك، ومن قبلك؛ تفضلا؛ لا عن سبب منّا ولا عمل، وفي هذا استسلام وتطرح، -وقال أيضا-: "توفيقا للرشاد" (al-Qurtubi, 2006) وقيل: "الرَّشْدُ: إِصَابَةُ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْبُغْيَةِ، وَكَذَا الرَّشْدُ وَالرَّشَادُ" حتى نكون بسببه راشدين مهتدين" (Al-Nasafi, 2019)؛ وقيل: "أي: "بأن يهَيءَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمُ الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ مَفَارِقَةِ دِينِ أَهْلِهِمْ وَتَوْحِيدِ اللَّهِ رَشْدًا، وَهِيَ الْإِهْتِدَاءُ، وَالْدِيمُومَةُ عَلَيْهِ (Abu Hayyan 2010) "خلاصا جميلا". (Al-Halili, 1998)، وقال ابن عاشور: "الخير، وإصابة الحق، والنفع، والصلاح". (Ibn Ashur, 1984) وقيل: "أي: دلنا على ما ننجو به". (Al-Qaysi, 2008).

بالنظر إلى أقوال المفسرين نجد أنها تتجه إلى مسار واحد غير متناقض، ونستطيع القول بأن السياق يؤسس لأول مستوى من مستويات الرشد؛ ألا وهو مستوى (التوفيق) وذلك من خلال المحددات الآتية:

1- الدلالة المعجمية: فالتعبير بـ (رَشَدًا) بالفتح وهو المعنىُّ بالنفع الأخرى كما ذكر أهل اللغة- يدل على إرادتهم التوفيق إلى نوع خاص من الصواب لا مجرد الهداية؛ فهم مهتدون أصلا، لكنهم مطلبهم هو التوفيق إلى الثبات على هذه الهداية، وذلك الصواب، فإن أوجه الصواب كثيرة، وأبواب السداد متعددة، فهناك سداد أعلى من الآخر، وهناك سداد لحظي، وهناك نفع مؤقت، وليس ذلك مطلبهم، إنما مطلبهم: ديمومة التوفيق إلى الرشد الثابت المستمر، المستقر في النفس والعقل والروح، والذي يقودهم إلى الفلاح الأخرى الخالد، يقول فاضل السامرائي: "إن اختيار القرآن لفظ الرشد في قوله تعالى: ﴿وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ فيه إيماء إلى معنى الثبات النفسي

والعقلي؛ الذي يُثمر إصابة الصواب، فالهداية قد تكون آنية، أما الرشد فيدل على استقامة متواصلة، وعقل راجح يزن الأمور بطمأنينة" (Fadel Alsamraei, 2000).

2- خصوصية التعبير بلفظ (لذن): فهم حين طلبوا الرحمة لم يطلبوا أي رحمة! فالخلق جميعهم داخلون في رحمة الله (Ibn Ashur, 198) وإنما طلبوا رحمة خاصة، وصفوها بقولهم: ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ ولفظة (لذن) تُفيد العندية والانتساب إلى الله تعالى، فهي رحمة لا كرحمة غيره بل رحمة تكمل سعيهم بالتوفيق، "والهداية، والمعرفة، والصبر، والمغفرة، و الرزق، والأمن من العدو" (Abd Allah ibn Umar al-Baydawi, 1998) (Muhammad ibn Ahmad al-Qurtubi, 2006; Fakhr al-Din al-Razi, 2000)، ويضيف السامرائي في خصوصية لفظة: (لذن) "ثم أنه لما كانت (لذن) أخص من (عند) لكونها أقرب مكانا منهما، كانت أبلغ من (عند) لأنها مبدأ المكان والزمان، و لم تستعمل (لذن) في القرآن الكريم، إلا مع الله منها هذا الموضع باستثناء موضع واحد - كما ذكرنا آنفا-، فهي أبلغ من (عند) لأنها ألصق، وقد استعملت في القرآن الكريم في خصوصيات الألفاف، والتعليم، والرحمة، والإلهية، وبموازنة ذلك بين واستعمال (عند) يتضح الأمر" (Fadel Alsamraei, 2000).

3- دلالة تقديم: ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾: ففيه ما يدل على الاختصاص، يقول الشوكاني: "وتقديم من لذنك للاختصاص، أي: رحمة مختصة بأنها من خزائن رحمتك، وهي المغفرة في الآخرة، والأمن من الأعداء، والرزق في الدنيا" (Al-Shawkani, 1994)، وقال محمد حسن جبل: "وقد وردت كلمة (لذن) الظرفية في القرآن الكريم سبع عشر مرة، كلها في الرحمة، والحنان، والخير، واللين، ونحوه، وهو استعمال قريب لمعنى الليونة، وأحيانا لمعنى التلبث وهو استعمال طريف، أعني إكساء معنى (لذن) الظرفية معنى، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْىٰ الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَعَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَّنَا مِّنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10]. (Jabal, 2010).

4- دلالة التعبير بلفظ: ﴿وَهَيِّئْ لَّنَا﴾ والتهيئة ليست مجرد تعليم أو إرشاد، بل هي إعداد الأسباب وتدبير الواقع بما يوافق المقصد، فلو كان المطلوب مجرد معرفة الحق لكان

يكفي طلب الهداية، أما طلب التهيئة فيدل على حاجة إلى تسخير الظروف وترتيب المقدمات المؤدية إلى الثبات، وبذلك يصبح الرشد أثرًا لتدبير إلهي سابق، لا مجرد إدراك ذهني، وهذا من صميم معنى التوفيق؛ إذ هو جمعٌ بين معرفة الحق، والقدرة على فعله، وتيسير أسبابه، قال الكرمانى: "والمراد بأمرهم: "الذي هم عليه من مفارقة الكفار والفرار بدينهم"، "والتهيئة هي: "إحداث هيئة الشيء، وشكل (Al-Zamakhshari, 1987) (Al-Kirmani, 2008) وقيل: إعداد الأسباب التي تُوصل إلى الثبات على الدين، والنجاة من الكفار، فجمع الدعاء بين الفرار الظاهري، والاعتصام الباطني بالله.

5- اقتران الرشد بالرحمة اللدنية: حيث لم يطلب الفتية رحمة مطلقة، بل قالوا: ﴿من لَدُنْكَ﴾ وهو قيد يفيد الخصوصية والاختصاص، أشار الرازي إلى أن هذا التعبير يدل على عظمة الرحمة وصدورها عن فضل خاص، كما بينَ فاضل السامرائي أن لفظ «لدى» أخصّ من «عند»، وأدّل على قرب العطاء وصدوره مباشرة؛ فالرحمة المطلوبة إذاً رحمة مخصوصة ذات أثر تدبيري مباشر، والرشد جاء مترتباً عليها في البناء الدعائي، مما يدل على أن الرشد ثمرة عناية خاصة، والأثر الخاص للعناية الإلهية هو التوفيق.

6- قرينة السياق: (فالسباق سياق فتنة لا سياق بيان) ففتية الكهف لم يكونوا في مقام طلب معرفة الحق؛ فقد آمنوا بالفعل وقرروا مفارقة دين قومهم فالمشكلة لم تكن معرفية، بل تنفيذية وجودية: كيف يتثبتون؟ وكيف ينجون؟ وكيف يستمرون؟ وفي مثل هذا السياق لا يُطلب مجرد الإرشاد، بل يُطلب التثبيت، وقد جاء: " أنه غني عن البيان أن هداية الإرشاد سبب في هداية التوفيق، وأن من يقبل هداية الإرشاد واستجاب لله، ينل هداية التوفيق" (Mahmoud Gareeb Manhaj Alquran fi Al-Qadaa wa (Alqadar,1998)، والتدبير، والنجاة المستمرة، وهذا النوع من الطلب لا يعبر عنه مفهوم الهداية الابتدائية، بل مفهوم التوفيق التثبتي.

7- جامع أقوال المفسرين: تنوعت عبارات المفسرين في تفسير الرشد بين السداد، وإصابة الحق، والخلاص، والديمومة على الاهتداء، والتوفيق ومن الأقوال الصريحة في

ذلك قول القرطبي: "توفيقاً للرشاد". (AlQurtubi, 2006)، والشعراوي حين قال: "يدلنا هذا الدعاء على أن المؤمن لا يعتمد على حيلته، بل يسأل الله أن يهتئ له أمره، لأن الرحمة لا تكتمل إلا بالتوفيق، والرشد إنما هو ثمرة هذا التوفيق؛ فالهداية قد تلوح لحظة ثم تضلّ، أما الرشد فحالة من الثبات في النفس والعقل؛ يثمر إصابة الصواب على المدى الطويل" (Al-Sha'rawi, 1997).

8- دلالة التعقيب بلفظ المرشد في قوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهَا ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: 17]. فهذه الآية بمثابة تلخيص لحادثة أصحاب الكهف، ويشير فيها الحق سبحانه وتعالى إلى: "أن انفراد هؤلاء الفتية عن أهل زمانهم من العجب، فعقب بما يزيل هذا العجب، ويبيّن أنّ الذي يهديه الله ولو بأيسر هداية؛ هو المهتدي في أي زمان كان؛ ولن تجد له مُضلاً، وأنّ من يضلله الله فهو لا غيره الضالّ، والآية من الاحتباك: ذكر الاهتداء أولاً دليلاً على حذف الضلال ثانياً، والمرشد ثانياً دليلاً على حذف المضلّ أولاً" (Albiqaei, 1489) وأكد سبحانه وتعالى أن ما وقع فيها من توفيق إلى الرشد والصواب كان من عند الله تعالى، وفيما يلي نذكر أقوال المفسرين في تفسير مرشداً: "فلن تجد له يا محمد خليلاً، وحليفاً يرشده لإصابتها، لأن التوفيق والخذلان بيد الله، يوفق من يشاء من عباده، و يخذل من أراد، يقول: فلا يحزنك إدار من أدبر عنك من قومك وتكذيبهم إياك، فإني لو شئت هديتهم فأمنوا، وييدي الهداية والضلال". (Ismail Ibn Kathir, 1999; Muhammad ibn Jarir al-Tabari, 2001; Abd al-) (Rahman al-Tha'alibi, 1998)، وعند ابن عاشور: " المعنى: أنهم كانوا مهتدين لأن الله هداهم فيمن هدى، تنبيها على أن تيسير ذلك لهم من الله هو أثر تيسيرهم ليسرى والهدى، فأبلغهم الحق على لسان رسولهم، ورزقهم أفهاماً تؤمن بالحق، والمرشد: الذي يبيّن للحيوان وجه الرشد، وهو إصابة المطلوب من الخير". (Ibn Ashur, 1984).

9- حد التوفيق: عند أهل السنة والجماعة: " التوفيق هو إمداد الله تعالى للعبد بإعانتة وتسديده وتيسير الأمر، وبذل الأسباب التي تعينه، فهو محض فضل منه تعالى". (Saleh Aal Alshaik2006)، وبالنظر إلى جميع المحددات السابقة، وتعريف التوفيق في الشرع الذي يتطابق مع أقوال المفسرين لعلنا يمكننا القول بأن السياق يؤسس لأول مستوى من الرشد و هو التوفيق، فاجتماع كل هذه العناصر لا يعبر عنه بلفظ الهداية وحده، بل بلفظ التوفيق، وهو الأضيق انطباقاً على السياق -والله أعز وأعلم- المستوى الثاني: مستوى رُشد الهداية: ورد اللفظ مرة أخرى بصيغة الرُشد أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 24] وذلك في ذكر موقف النبي صلى الله عليه وسلم من قريش لما تحدوه، وأرادوا تعجيزه، فوعدهم بالجواب دون أن يستثني، وهو ورود يأتي في سياق مختلف تماماً عن سياق الفتية؛ إذ ينتقل الخطاب من مقام الابتلاء العقدي إلى مقام التربية النبوية في إدارة الوعد وربط المستقبل بالمشيئة الإلهية، وفيما يلي نستعرض سبب النزول، وعدد من الدلالات اللغوية والبلاغية، وأقوال المفسرين:

سبب نزول الآية: ذكر المفسرون: " أن المشركين لما سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل الكهف، وذوي القرنين وعدهم بالجواب عن سؤالهم من الغد، ولم يقل «إن شاء الله» ، فلم يأت جبريل - عليه السلام بالجواب إلا بعد خمسة عشر يوماً، وقيل: بعد ثلاثة أيام، أي: فكان تأخير الوحي إليه بالجواب عتاباً رمزياً من الله لرسوله - عليه الصلاة والسلام ، ثم كان هذا عتاباً صريحاً فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سُئل عن أهل الكهف وعد بالإجابة ونسي أن يقول: «إن شاء الله» كما نسي سليمان، فأعلم الله رسوله بقصة أهل الكهف، ثم نهاه عن أن يعد بفعل شيء دون التقييد بمشيئة الله". (Ibn ' (Ibn Ashur, 1984).

عرض أقوال المفسرين: قال الراغب الأصفهاني: "الرَّشْدُ أخصُّ من الرُّشْدِ، فإنَّ الرُّشْدَ يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرَّشْدُ يقال في الأمور الأخروية لا غير" (Al-Rageb Al-Asfhani, 1992)

-الطبري: "يقول عزّ ذكره لنبهه صلى الله عليه وسلم: قل: ولعل الله أن يهدينى فيسددنى لأسداً مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون، إن هو شاء". (Al-Tabari, 2001)

-الزجاج: "أي: قل عسى أن يعطينى من الآيات، والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد وأدل من قصة أصحاب الكهف". (Al-Zajjaj, 1988).

-البغوي: "أي: يثبتني على طريق هو أقرب إليه، وأرشد وقيل: أمر الله نبيه أن يذكره إذا نسي شيئاً، ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه". (Al-Baghawi, 1997).

-النسفي: "أقرب منه رشداً، وأدنى خيراً ومنفعة". (Alnasafi, 2019)

-قال ابن عاشور: "وانتصب رشداً على تمييز نسبة التفضيل من قوله: (لَأَقْرَبُ مِنْ هَذَا) ويجوز أن يكون منصوباً على أنه مفعول مطلق مبين لنوع فعل (أَنْ يَهْدِينَ) لأن الرشد نوع من الهداية. فعسى مستعملة في الرجاء تأديباً، واسم الإشارة عائد إلى المذكور من قصة أهل الكهف بقرينة وقوع هذا الكلام معترضا في أثنائها ويجوز أن يكون المعنى: وارجُ من الله أن يهديك فيذكرك ألا تعد وعدا ببيان شيء دون إذن الله والرشد- بفتحتين-: الهدى والخير" (Ibn Ashur, 1984).

-أما السامرائي فقد "فرّق بين الهداية والرشد، فبيّن أن الرشد يدل على ثبات في العقل والنفس يثمر إصابة الصواب على المدى الطويل، بينما الهداية قد تتحقق لحظة ثم تضلّ، فجاء التعبير بالرشد إشارة إلى دوام الاستقامة واطّرادها". (Fadel Alsamraei, 2000).

وبالنظر إلى أقوال المفسرين نلحظ أنّها تنضوي تحت لواء واحد، وأنّ السياق يؤسس لمستوى جديد من مستويات الرشد ألا وهو مستوى الهداية لا كمفهوم عقدي ابتدائي؛ ولكن مرحلة أعلى وأرقى يمكن وصفها بالهداية التثبتيّة، ومحددات هذه الهداية هي:

1-الدلالة المعجمية للرشد -بالفتح- وهو ما يقرب من رضا الله، إذ أنّهم فرّقوا بين الرشد بالفتح والرشد بالضم.

2- دلالة صيغة التفضيل: "أقرب" حيث تفيد التفاضل، مما يدل على أن الرشد درجات، وأن المقام ليس انتقالاً من غيِّ إلى رشد، بل من رشد إلى أقرب منه، وهذه قرينة صريحة على أن المقصود ترقية في الهداية، لا تأسيس أصلها.

3- اقتران الرشد بالفعل "يهدين" فالرشد هنا مترتب على الهداية، إذ جاء مفعولاً لفعل الهداية، فهو نتيجة هداية جديدة، لا مجرد تهيئة ظرف كما في قوله: ﴿وهيئ لنا من أمرنا رشداً﴾ وهذا فارق دلالي جوهري بين الموضوعين.

4- الدلالة السياقية وتشتمل على:

- ورود الآية عقب العتاب فالرشد هنا ثمرة استجابة للتوجيه الإلهي، وهو نتيجة تربية ربانية، وكما ذكر ابن عاشور عقب إيراده لسبب النزول: أن التوجيه هنا جاء بعد احتباس الوحي، والعتاب الصريح من الله عزو جل تعليماً، وتربية، وتأديباً لنبهه صلى الله عليه وسلم، ولأتمته من بعده.

- ارتباطه بالذكر بعد النسيان (وَإِذْ كُنَّا نَسِيانَ إِذَا نَسِيْتَ) [الكهف:24]، يجعل الذكر علاجاً للنسيان، ويجعل الرشد امتداداً لمسار المراجعة والتصحيح (Al-Razi, 2000).  
- المقام ليس مقام فتنة عقديّة، بل مقام توجيه تربوي، وصيغة التفاضل (أقرب) تدل على ترقّي لا تأسيس، واقتران الرشد بفعل الهداية يجعل الرشد نتيجة لها.  
- قرينة السياق: السياق قائم على تعليم أدب الاستثناء، وهو من دقائق المنهج؛ لا من أصول العقيدة.

- موقعه في التدرج التربوي للسورة، فإذا كان الرشد في قصة الفتية توفيقاً يحفظ أصل الإيمان تحت ضغط الفتنة، فإن الرشد هنا يمثل انتقالاً إلى مستوى أعلى.  
- جامع أقوال المفسرين: نلاحظ أن أقوالهم - عند جمعها - تدور حول معنى الهداية المسدّدة المقوّمة، لا حول التوفيق التأسيسي.

واستناداً على ما سبق، نخلص إلى أن التعبير بالرشد في السياق يُعد تعبيراً عن ثمرة مستوى أعلى، ودرجة أرقى في مستويات الرشد، ويتحدد مفهوم الرشد في هذا

الموضع بأنه هداية تطويرية تصحيحية، وارتقاء بالمفهوم من دائرة التثبيت العقدي - كما في الموضع الأول قصية فنية الكهف - إلى دائرة التهذيب المنهجي، ومن حفظ الإيمان إلى ترقية الوعي؛ وبذلك يتأكد أن الرشد في سورة الكهف مفهوم متنامٍ، يتصاعد مع مسار السورة، ويطبع التجربة الإيمانية بطابع السعي الدائم إلى الأقرب إلى رضا الله، في رحلة لا تتوقف عند حد، تنتقل من صواب إلى صواب أقرب، ومن حسن تدبير إلى أكمله، وتؤسس لوعي دائم بضرورة ربط الإرادة البشرية بالمشيئة الإلهية، فهو ليس طلباً لحفظ الإيمان، وإنما طلب لترقية الأداء الإيماني، والله تعالى أعلم.

المستوى الثالث: دلالة رشد البصيرة النافذة إلى الحكمة قوله تعالى: (هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا) [الكهف: 66].

سبب نزول الآية: ذكر الطبري خبراً بسنده عن أبي بن كعب رضي الله عنه " قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "بيننا موسى في ملاء من بني إسرائيل إذ جاءه رجل فقال: تعلم مكان أحد أعلم منك؟ قال موسى: لا؛ فأوحى الله إلى موسى: بلى عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إلى لقيه، فجعل الله له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر، فقال فتى موسى لموسى: رأيت إذ أوينا إلى الصخرة، فإني نسيت الحوت، قال موسى: ذلك ما كنا نبغ، فارتدا على آثارهما قصصاً، فوجدا عبدنا خضراً، وكان من شأنهما ما قص الله في كتابه" (Al-Tabari, 2001).

أقوال المفسرين:

- "صواباً" (Althaalabi, 2000)، وكذلك البغوي، وأضاف: "علما ترشدني به" (Al-Baghawi, 1997) "رُشْدًا أي: علما ذا رشد، أرشد به في ديني" وأشار إلى أن الرشد هو إصابة الخير بإلهام وتوفيق، أي بصيرة توجه الأقوال والأفعال. (Al-Zamakhshari, 1987).

- الرأزي إلى أن "تخصيص اللفظ بالرشد بدل العلم إشارة إلى أن المطلوب ليس معرفة نظرية مجردة، بل بصيرة في كيفية توظيف العلم، وحسن استعماله" ( Al-Razi, 2000).

- "أن تعلمني علماً ذا رُشد." (Ibn al-Jawzi, 2002)، البيضاوي: "علماً ذا رُشد، وهو إصابة الخير، (Al-Baydawi, 1998). ابن كثير: "أي: مما علمك الله شيئاً، أسترشد به في أمري، من علم نافع، وعمل صالح. (Ibn Kathir, 1999).

بعد هذا العرض وبمجموع ما سبق نلحظ أن السياق يؤسس لمستوى ثالث من مستويات الرشد ألا وهو مستوى البصيرة، فموسى عليه السلام نبي يوحى إليه، ولا علم بشري فوق ذلك؟ ولكنه رغم ذلك طلب الاستزادة، وعبر عنها بالرشد ولم يعبر بالعلم، فدلّ على أن المقصود نوع خاص من العلم و أن مطلوب موسى عليه السلام لم يكن مجرد العلم، أو المعرفة النظرية فحسب؛ إنما أراد العلم النافع الذي يتجاوز حدود المعرفة النظرية، وأن مطلوبة كان علم البصيرة التي تُدرك ما لا يدركه العقل، أو البصر، وهذا ما صرح به ابن عاشور حين قال: "إن المراد: الصواب في إدراك الحقائق ومواقعها، أي بصيرة نافذة تتجاوز حدود المعرفة الظاهرية" (Ibn Ashur, 1984) وما أكده فاضل السامرائي حيث قال: "الرشد أبلغ من الهداية لأنه يدل على استقامة باطنة، وصفاء عقل، وسداد فهم مما يكشف أن موسى طلب بصيرة نافذة، لا مجرد معرفة" ( Fadel Alsamraei, 2000) والشعراوي حين التقط ملامحاً بديعاً فقال: "إن موسى جاء في طلبه في صورة سؤال لا في صيغة أمر، وجاء بلفظ الاتباع لا الندية، ليعلم أن طالب العلم الحق لا يكتفي بالعلم، بل يطلب الرشد المصاحب له أي: العلم المقرون بالبصيرة، والتوفيق في العمل، فالعلم إذا خلا من الرشد ربما أضلّ صاحبه، أما إذا اقترن بالرشد صار علماً نافعا" (Al-Sha'rawi, 1997)

ولعلنا نستخلص من جميع ما سبق محددات هذا المستوى من الرشد ألا وهو:

البصيرة) وهي كالآتي:

1- الدلالة اللفظية: في اختيار لفظ الرُّشد دون العلم، فالرُّشد في أصل اللغة يدل على إصابة الصواب مع استقامة في القصد، لا مجرد إدراك للمعلومة، فهو علمٌ مصحوبٌ بسداد، ومعرفةٌ مقرونةٌ بحكم، ومن ثمّ فاختياره في هذا الموضوع قرينة على أن المطلوب ليس الكَمّ المعرفي، بل الكيف الهادي.

2- الدلالة النحوية: اقترانه بالفعل "تُعَلِّمَن" حيث جاء الرشد مفعولاً لفعل التعليم، مما يدل على أن التعليم درجات، وأن أعلاها ما أورث رَشداً، فليس كل علمٍ مورثاً للرشد، لكن كل رشدٍ مبنيٌّ على علم، وهذا يرفع الرشد هنا إلى مرتبة ثمرة العلم، لا مادته.

3- طبيعة ابتلاء موسى عليه السلام: فالأحداث الثلاثة (السفينة، الغلام، الجدار) ظواهرها مناقضة للعدل الظاهر، لكن حقيقتها قائمة على حكمة خفية، فالمطلوب إذن ليس علم الحكم، بل علم الحكمة، وليس إدراك النص، بل إدراك المقصد، وهذا هو جوهر البصيرة.

4- جامع أقوال المفسرين: بالنظر في أقوال المفسرين نلقاها عند محور واحد وهو أن الرشد هنا علمٌ مفعّلٌ بالبصيرة، ينتج حكمةً عملية، وانظر إلى قولي الشعراوي، وفاضل السامرائي حيث قررا أن العلم إن لم يقتزن البصيرة والتوفيق قد يُضلل صاحبه، وأنه أبلغ من الهداية لدلالاته على استقامة باطنة، وصفاء عقل.

5- شاهد من السنة النبوية: ورد لفظ الرشد في السنة النبوية في سياق يؤكد معنى البصيرة وذلك في حديث "عن عمران بن حصين، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي: «يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً؟ قال أبي: سبعة، ستة في الأرض وواحداً في السماء، قال: «فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك»؟ قال: الذي في السماء، قال: «يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك - قال: فلما أسلم حصين قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني - فقال - صلى الله عليه وسلم - : " قل: اللهم ألهمني رشدي، وأعدني من شر نفسي". (Al-tirmithi 1979) وقال: هذا حديث غريب وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه.

وبأمل الدعاء السابق نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم علم حصينا طلب رشد النفس، وهو وصولها إلى ما يصلح شأنها، وهو أمر ليس في مقدور البشر معرفته فقد يسعى الإنسان ويجتهد في غايةٍ ما عمرا طويلا ثم يعلم أنه ضل وما اهتدى، ولو أن الله تعالى ألهم المرء رشده لأصاب الخير الذي ينفعه في الوقت الملائم، واختصر على نفسه الكثير من المعاناة ، قال المباركفوري في شرح الحديث: " اللهم ألهمني رُشدي: أي: وفقني إلى الرشد، وهو الاهتداء إلى الصلاح، و أعذني من شر نفسي أي: أجزني واحفظني من شرها فإنها منبع الفساد، وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية لأن طلب إلهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلال، والاستعاذة من شر النفس يكون بها السلامة من غالب معاصي الله سبحانه، فإن أكثرها من جهة النفس الأمانة بالسوء"، (Almubarakfori, 2018) كما نلاحظ أن الرشد الذي طلبه موسى عليه السلام هو ذات الرشد الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم حصينا أن يطلبه، إنَّه العلم النافع، والبصيرة بعواقب الأمور، وكل علم غير ذي رشد فعاقبته خسران وضلال وقد قال الشاعر:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى ... فأكثر ما يجني عليه اجتهادهُ

وبعد عرض جميع المواضع التي ذكر فيها الرشد في السورة الكريمة نلخص إلى أن ثمة فرقا جليا بين كل رشد في كل سياق، وأن المراد ليس المعنى العام المنصرف إليه لفظ الرشد من النفع، وإصابة الخير، و السداد فقط، بل هو نوع من الرشد خاص في بناء متنام في مسار متدرج، يرتقي بالمؤمن من الثبات، إلى الوعي، إلى النفاذ في الحكمة في منهج تربوي متكامل، فمن رشد التوفيق في سياق قصة فتية الكهف، إلى رشد الهداية في سياق عتاب الاستثناء للنبي صلى الله عليه وسلم، إلى رشد البصيرة النافذة المؤدية إلى الحكمة في سياق قصة موسى عليه السلام والخضر، إذن هي مستويات متعددة مختلفة، ورغم تداخل المعاني بعضها مع بعض إلا إن كل سياق ينفرد بمستوى مختلف تشير إليه الدلالات اللغوية، والبلاغية، وأقوال المفسرين.

#### 4. الخاتمة و النتائج

توصلت الدراسة إلى أن هذا المفهوم في مواضعة الثلاثة ليس لفظا واحدا مكررا، إنما لفظ واحد بمعان متجددة، يحمل في كل مرة دلالات متعددة تتكامل لترسم منهجا قرآنيا تربويا متدرجا يسمو بالإنسان ويرتقي به، في صورة بديعة من صور أسلوب الترفي في البيان القرآني، كما خُص إلى أن سورة الكهف تقدم نموذجًا تطبيقيًا متدرجًا لمفهوم الرشد يعكس تكاملاً منهجيًا فريدًا في البناء القرآني، وتتلخص أهم نتائج الدراسة فيما يأتي:

1- ذكر المفسرون أن (الرَّشِد) بالفتح يدل على النفع الأخرى، بينما بالضم (الرَّشِد) يدل على النفع الأخرى والدينوي معا، فبينهما عموم وخصوص.

2- أن لفظ الرشد في سورة الكهف اشتمل على دلالات معجمية، وبلاغية، وسياقية شكلت منهجا تربويا فريدا.

3- أن المستوى الأول من مستويات الرشد هو مستوى التوفيق الذي لولاه لن يصل المؤمن إلى أي خير، أو نفع، أو سداد.

4- أن المستوى الثاني هو مستوى الهداية وهو الثبات على الحق، والخير والنفع والاستمرار والديمومة عليه.

5- المستوى الثالث هو مستوى البصيرة، وهي القدرة على النظر النافذ إلى ما وراء الحقائق المجردة والمحسوسات، وهو لون من الرشد اللدني الخالص من عند الله.

ومن أهم التوصيات أن أوصي نفسي والباحثين والمهتمين بالدرس القرآني بأن يناقشوا في مزيد من البحوث مثل هذه المفاهيم القرآنية الجامعة ففي ذلك إثراء لمكتبة القرآن التفسيرية، ونفع كبير، والله الموفق لما يحب ويرضاه.

## المصادر والمراجع

### REFERENCES

- Abu Abu Hayyan, M. Y. (2010). *Al-bahr al-muhit fi al-tafsir*. Beirut: Dar al-Fikr.
- Ahmad ibn Hanbal. (2001). *Musnad al-imam Ahmad ibn Hanbal* (Shu'ayb al-Arna'ut et al., Eds.). Beirut: Mu'assasat al-Risalah.
- Al-Azhari, M. A. (2001). *Tabdhib al-lughah* (M. A. Mur'ib, Ed.). Beirut: Dar Ihya al-Turath al-'Arabi.
- Al-Baghawi, A. M. H. (1997). *Ma'alim al-tanzil fi tafsir al-Qur'an* (4th ed.). Riyadh: Dar Taybah.
- Al-Bayḍawī, A. U. (1998). *Anwar al-tanzil wa asrar al-ta'wil*. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-'Arabi.
- Al-Biqā'i, I. U. (1989). *Nazm al-durar fi tanasub al-ayat wa al-suwar*. Cairo: Dar al-Kitab al-Islami.
- Al-Bukhari, M. I. (1978). *Khalq af'al al-'ibad*. Riyadh: Dar al-Ma'arif.
- Al-Jamal, H. I. (2003). *Makhtūṭat al-jamal*. Cairo: Egyptian General Book Authority.
- Al-Karmani, M. (2008). *Al-burhan fi tawjih mutashabih al-Qur'an*. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Mubarakfuri, A. R. (2018). *Tuhfat al-ahwadhi bi sharh Jami' al-Tirmidhi*. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Nasafi, A. H. (2019). *Madarik al-tanzil wa haqa'iq al-ta'wil*. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Qaysi, M. (2008). *Al-hidayah ila bulugh al-nihayah*. Sharjah: Majma' al-Buhuth al-Islamiyyah
- Al-Qurtubi, M. A. (2006). *Al-jami' li ahkam al-Qur'an*. Beirut: Mu'assasat al-Risalah
- Al-Raghib al-Asfahani, A. Q. (1992). *Al-mufradat fi gharib al-Qur'an*. Damascus: Dar al-Qalam
- Al-Razi, M. U. (2000). *Mafatih al-ghayb*. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-'Arabi.

- Al-Samarrai, F. S. (2000). *Ma'ani al-nahw. Amman: Dar al-Fikr*
- Al-Samin al-Halabi, A. A. (1996). *'Umdat al-huffaz fi tafsir ashraf al-alfaz. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah*
- Al-Sha'rawi, M. M. (1997). *Tafsir al-Sha'rawi. Cairo: Akhbar al-Yawm*
- Al-Shawkani, M. A. (1994). *Fath al-qadir. Beirut: Dar al-Ma'rifah*
- Al-Tabari, M. J. (2001). *Jami' al-bayan fi ta'wil al-Qur'an. Cairo: Dar Hajr*
- Al-Tha'alibi, A. M. (1998). *Al-jawahir al-hisan fi tafsir al-Qur'an. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-'Arabi*
- Al-Tirmidhi, M. I. (1975). *Sunan al-Tirmidhi (2nd ed.). Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi.*
- Al-Zajaj, I. S. (1988). *Ma'ani al-Qur'an wa i'rabuh. Beirut: 'Alam al-Kutub.*
- Al-Zamakhshari, M. U. (1987). *Al-kashshaf 'an haqa'iq ghawamid al-tanzil. Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi.*
- Badi' Ya'qub, E. (1996). *Al-mu'jam al-mufassal fi shawahid al-'Arabiyyah. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.*
- Ibn 'Ashur, M. T. (1984). *Al-tahrir wa al-tanwir. Tunis: Dar al-Tunisiyyah.*
- Ibn 'Atiyyah, A. M. (2002). *Al-muharrar al-wajiz fi tafsir al-kitab al-'aziz. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah*
- Ibn al-Athir, M. A. (1979). *Al-nihayah fi gharib al-hadith wa al-athar. Beirut: Al-Maktabah al-'Ilmiyyah.*
- Ibn al-Jawzi, A. R. (2002). *Zad al-masir fi 'ilm al-tafsir. Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi.*
- Ibn Faris, A. H. (1979). *Mu'jam maqayis al-lughah. Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi.*
- Ibn Kathir, I. (1999). *Tafsir al-Qur'an al-'azim. Riyadh: Dar Taybah.*
- Jabal, M. H. (2010). *Al-mu'jam al-ishtiqaqi al-mu'assal. Cairo: Maktabat al-A.*
- Muslim, M. H. (1955). *Sahib Muslim. Cairo: Isa al-Babi al-Halab*